مولانا الصغير

هالة محمَّد عبد العزيز

obeikandl.com

اسم الكتاب: مولانا الصغير

المـــــؤلف: هالة محمَّد عبد العزيز

الناشـــــر: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع

تصميم الغـلاف:

التجهيزات الفنية: حسام حسين

٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩ -٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣

رقم الإيداع: ٢٠١٥/١٦٦٢١

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٧٩٧- ٠٠ -٥

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية- دار الكتب المصريَّة

عبد العزيز ،هالة.

مولانا الصغير: قصص قصيرة/ هالة محمَّد عبد العزيز.- القاهرة: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠١٥ .

٨٠ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٥-٠٠-٧٩٧-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان.

٨١٣.٠١

محفوظة جميع الحقوق

obeikandl.com

مولانا الصغير

هالة محمَّد عبد العزيز

الطَّبعة الأولى ٢٠١٥

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

قدَّر الله أن يكون وقت انتهائي من صياغة هذا الكتاب هو
وقت انتهائي من إتمام حفظ القرآن الكريم كاملاً
فإلى كلّ معلّم علّمني القرآن بأحكامه وآدابه وسلوكيَّاته
أهدي هذا الكتاب

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
١-وغاب الشريك	٩
٢-الجنية والأمير	١٥
٣-الرؤية الحق	٢٣
٤-ولو بعد حين	٢٩
٥-مولانا الصغير	٣٥
٦-ضجيج الملائكة	٤١
٧-سجون الندم	٤٧
٨-دموع القمر	٥١
٩-الصوت الملائكى	٥٧
١٠- كل السعادة فى قربها	٦٣
١١-اللوحة النادرة	٦٩
١٢-كان معى	٧٧

obeikandl.com

obeikandl.com

1

وغاب الشريك

obeikandl.com

obeikandl.com

وغاب الشّريك

هو صديقي ورفيق دربي وشريكي في رحلة الحياة...

شريكي الذي قاسمنيأيَّامي وسنين عمري...

تزاملنا في جميع المراحل المدرسيَّة... ولم تفرقنا مكاتب التَّنسيق في الثَّانويَّة العامَّة لعلو مجموعه عن مجموعي؛ لأنَّ السَّكن الجامعي جمعنا معًا، بل لازمنا ببعض حتَّى في المبيت، فجعلنيأنهل أكثر وأكثر من عطائه الفيَّاض... أكبره في السِّنِّ ببضعة أشهر، ولكنِّيأضعه دائمًا في منزلة الأخ الأكبر لأنَّني دائمًا أمام حكمته ووقاره وحسن تدبيره للأمور أشعر دائمًا أنَّه يكبرني بسنوات طويلة حتَّى أنَّني حين أخطئ الأخطاء التي يخطئها الشَّباب في مثل سنِّيأجتهد فيأن أخفي عنه هذه الأخطاء؛ لأنَّ شعوري بالخجل منه يصيبني دائمًا بالإحباط والاكتئاب، ولكن إذا أوقعتني هذه الأخطاء في مشكلة لا أجد بدًّا من اللجوء إليه ليحلَّ لي مشاكلي بحكمته وبصيرته النَّافذة...إلى أن أتى الوقت الذي فرّقنا فيه العمل... بعد التَّخرج... فقد عملتُأنا في مجال دراستي، وأنعمَ الله على صديقي بالعمل معيدًا بالجامعة، ولكن لم أشعر بأنَّه فراق لأنَّه لم يأتِ يوم دون أن أراه

فيه...يرشدني بنصائحه، يهديني بحكمته، يحلّ لي مشاكلي، يخفّف عنّيأيّ حزن أو ضيق... وبدأ صديقي يوسّع من دائرة اهتمامه بيفقد بدأ يحثّني على الزَّواج لرغبته أن يسعدبزواجي، وبادلته أنا هذا الاهتمام باهتمام مثله بأن أحثّه على الزَّواج، كان يتعلَّل بأنَّه لا يستطع الإقدام على هذه الفكرة إلا بعد أن ينهي دراساته ويحصل على الماجستير والدّكتوراه... وبدأ يبحث معي عن زوجة مناسبة، وحين اهتدينا إلى الفتاة التي تصلح لي زوجة كان هو شريكي فيإتمام اتفاقات الارتباط وإتمام الخطوبة...إلى أن أتى موعد الافتراق الحقيقي حين سافر صديقيإلى أحد الدّول الأوروبيَّة للحصول على الماجستير والدّكتوراه... تغيّر شيء في حياتي،أصبحت وحيدًا لا أجد مَن يؤنسني... مشتتًا لا أجد مَن يلملمني... ضالًّا لا أجد مَن يهديني، ولكنَّ محادثاته التّليفونيَّة لي كلّ يوم هي التي لملمت شتاتي، وأخبرته فيإحدى المكالمات الهاتفيَّة بموعد زفافي وأنَّ سعادتي لن تكتمل إلَّابحضوره؛ فاعتذر لي صديقي عن عدم الحضور لانشغاله الشَّديد بأبحاثه ودراساته ودعا لي بالسَّعادة والتَّوفيق... وشعرت فعلًا في يوم زفافي بأنّيأفتقده بشكلٍ يقلّل من سعادتي، ولم يغن عن غيابه جموع الأصدقاء من حولي الذين أحاطوني باهتمامهم وبفرحتهم... ودارت نظراتي تبحث عنه في وجوه الأصدقاء إلى أن تخيَّلت وجه أحد الأصدقاء

بأنَّه وجهه... لا ليس خيالًا هو صديقي بنفسه... صديقي وشريكي في رحلة الحياة يقف أمامي ويخبرني بأنَّه لم يستطع إلا أن يراني في يوم زفافي مهما كلَّفه هذا الحضور من ماديَّات أو ضيق في وقت أبحاثه ودراساته...أبكتني المفاجأة وأبكت جميع أصدقائنا... الحمد لله تمَّت فرحتي بوجود صديقي العزيز... وعاد بعدها صديقي للبلد الذي يدرس فيه، وظلَّت بيننا المحادثات الهاتفيَّة التي شعرت منها ذات مرَّة بنبرات الحزن في صوته، ولكن لم يستوقفني صوته الحزين؛ لأنَّه مشهور منذ الصِّغر بنبراته الحزينة، وفسرت وضوحها بشكل أكبر لإرهاقه في الدِّراسة والأبحاث.

ومرَّت الأيَّام وأوشك صديقي على الانتهاء من دراساته، وعاد للوطن وأخبرني هاتفيًّا برغبته فيأداء العمرة، وأنَّه يريدنيأن أشاركه في هذه الرِّحلة العظيمة، ولم أتوانَ لحظة في تنفيذ رغبة صديقي، وفعلًا قدَّمت أوراقنا وأخبرتُ صديقي هاتفيًّا بموعد سفرنا، وأخبرني هو بموعد وصوله لأرض الوطن، وذهبت لانتظاره في المطار، رأيته على بُعْد وهو يخطو ناحيتي، هذا هو شبيه صديقي ولكنَّه ليس هو... ماذا أصابك يا صديقي العزيز أفقدك نصف وزنك وكَسَى وجهكَ بالشّحوب وأحاط عينيك بالسَّواد... أصيب صديقي الحبيب بالمرض اللعين منذ عدّة شهور،

وأخفى عليَّ هذا الخبر لأنّه لا يريد أن يكدِّر عليَّ صفو حياتي... كم سمعتُ نبرات صوته الحزين... كم لاحظتُ تغييرًا في لهجته... كم شعرتُباختلاف فيأسلوب حديثه... كلّ هذا بك يا صديقي وأنا لا أدري، وأنا ألهو وألعب، وأنا لا أقاسمك آلامك وأحزانك كما قاسمتني كلَّأيَّامي وسنيني ورحلة حياتي...أرجو أن يقترب موعد سفرنا للعمرة عسى أن تخفِّف هذه الرِّحلة من آلامه ويُستجَاب دعاءَنا في خير بقاع الأرض... ورافقته كلّ الوقت وقرَّرتُألا أتركه لحين موعد سفرنا... قرَّرت ألَّا أتركه ولكنَّه هو الذي تركني... غاب شريكي في رحلة العمرة قبل موعد السَّفَر بيومين... غابَ عن الحياة... كأنَّه كان يعلم موعد رحيله بالضَّبط؛ فاختارَ ليأداء العمرة في هذا الوقت لتخفّف عنِّي هذه الرِّحلة الرُّوحانيَّة صدمة رحيله، وأن أهرب من فَقْدِ الصَّديق الحبيب إلى الحبيب الأعظم،وأن أقف على بابه وأشكو إليه غياب الشَّريك.

هذه هي عادتك يا صديقي الحبيب تخفِّف عنِّيآلامي في حياتك ومماتك.

معطاء حيًّا وميّتًا يا صديقي الحبيب.

– .....

***

obeikandl.com

2

الجنيَّة والأمير

obeikandl.com

الجنيَّة والأمير

ما أسخفها وأقساها خيوط الملل عندما تتكاثر وتتشابك وتخيّم على قلب إنسان تفقده بريق الأشياء من حوله، وتساوي في تقديره بين الجميل والقبيح وتضيق نظرته لمستقبل الأيَّام... هكذا كان حال الأمير الشَّاب عندما وقع أسيرًا للملل، فقرَّر أن يفرَّ من هذا الأسر المميت؛ فركب جواده وانطلق إلى حيثُ لا يدري، مرَّ بطرق ودروب وحقول ومزارع إلى أن وصل إلى أرض مهجورة، فدعته نفسه إلى أن يستريح في هذه الأرض لبعض الوقت، فنزل من على جواده، وجلس على حجر كبير وأخذ في التأمُّل والتَّفكير في هذا الفضاء من حوله، وفجأة وجدَ الأرض تهتزّ من حوله وتخرج منها جنيَّة في غاية الجمال والرَّوعة، فانتفض الأمير من مجلسه بسرعة وأشهر سيفه في

obeikandl.com

وجهها،فبادرته بكلمات تطمئنه بها بأنَّها لا تنويإيذاءه لكنَّها تخرج كلّ يوم إلى سطح الأرض في هذا الموعد...وحيَّت الجنيَّة الأمير على شجاعته لجلوسه في هذه الأرض المهجورة التي يخشى الجميع حتَّى المرور بجوارها، وكما أعجبت الجنيَّة بشجاعة الأمير أُعْجِبَ الأمير بجمال الجنيَّة الذي لم يَرَ مثله في كلِّ الآدميين حوله... وتعاهدا على لقاء في غدهما وبذلك أصبحبينهما هذا اللقاء كلّ يوم، وسيطر عليهما وهم الحبّ وانساقا وراء هذا الشُّعور حتَّى عرضت الجنيَّة على الأمير الزَّواج، فاستنكر الأمير هذا العَرْضَ لاختلاف طبيعتهما، فكيف لآدميٍّأن يتزوَّج جنيَّة؟ فطلبت منه أن يحضر لها ثوب الآدميين، فإن ارتدته ستصبح آدميَّة مثله وسيتم الزَّواج بينهما...طاف الأمير بجواده من شرق البلاد إلى غربها ومن جنوبها إلى شمالها؛ ليحضر للجنيَّة أفخم الثِّياب...وارتدت الجنيَّة هذا الثّوب وتحوَّلت إلى آدميَّة وتزوَّجها الأمير،وعاشامعًا أجمل الأيَّام... أغلق عليها الأمير مشاعره... أحاطها بحبِّه وحنانه، سخَّرَ نفسه لسعادتها ورضاها...

ولكن بعد مرور الوقت بدأت تشكو الجنيَّة من ثوب الآدميين الذي ترتديه...تشكو من قصرٍ فيأطرافه مع أنَّه لم يقصر، تشكو من ضيقه على جسدها مع أنَّه لم يضق...تشكو من تهدُّل خيوطه مع أنَّها لم تتهدَّل...تشكو من بهتان ألوانه مع أنَّها لم تبهت... لم تبهت ألوان الثّوب، ولكن بريق الحبِّ هو الذي بهت، وسكنت أمواجه الهائجة...وحطَّت طيوره من جوّها الحالم الخياليإلى أرض الواقع...الواقع الذي جعلها تحنُّ بشدَّة إلى طبيعتها وهويّتها...وضاقت من حياة الآدميين بكلِّ ما فيها من نعيم، وقرَّرت أن تخلع عنها ثوب الآدميين. فشلت معها كلّ محاولات زوجها بإقناعها بجمال الثّوب، وخلعته عنها بسرعة وعادت إلى طبيعتها واختفت من حياة الأمير فبكى الأمير وأنشد قائلًا:

أنا لا ألومكِ مهما كنتِ حبيبتي

لكن أعاتب نفسي من أعماقي

إنِّي ظننتُأنَّ ثوب الآدمي

سيبدلك إلى آدمي راقي

لكن ثوبًا لا يغيّر صاحبه

أو يرفع أصله إلى الأعراق

إبليس يدعو للفضيلة ولو لبس

ثوب البراءة وبردة الأخلاق

فالثَّوب لابدَّ سيبلى خيطه

لكن نسيج الأصل دومًا باقي

obeikandl.com

3

الرُّؤية الحق

obeikandl.com

obeikandl.com

الرُّؤية الحق

هيلحظةسعيدةفيحياةكلّالإنسان –

اللحظةالتييجنيفيهاالإنسانحصادأيّشيءزرعه.

وسعيدةبوجهأخصفيحياتي...أناالحظةالتيأجنيفيهامحصولأرضيا لتيأزرعها.

أرضيالتي أعشقثراهاوأتنفَّسأنسامهاوأتداويبشمسهاوأتغنَّيبهواها.

هيأرضيوعرضيومواليوكلّمتاعيفيالحياةأقضياللّيلةالتيأصبحفيهاعلي الحصادفيهناءوسرورأعدساعتهاوأتعجَّلمرورهاوأسعدبانقضائها، لكنهذهاللّيلةالتيسيصبحفيهاحصادهذاالعام،اختلطتفيهافرحتيبقلقي فيماجدَّمنالأمور؛فقدماتَزوجشقيقتي،وتركلهاعدّةأطفاللّيسلهمأيّمصد رمنمصادرالإنفاق،فقدكانزوجشقيقتيأجيرًافيالأراضيالزّراعيَّةيعملب قوتيومه،ولميتركلزوجتهوأطفالهأيّمصادرللإنفاق.

فقرَّرتهذاالعامأنأقتسمدخلمحصولأرضيبينيوبينأختيلأصرفمنهعلي أبنائهاالصِّغار.

وكلّمايشغلباليهلنصفإيرادالمحصولسيكفيالوفاءباحتياجاتأسرتيهذا العام؟قلبتالأمرعليجميعوجوهه،ولكنلمأجدلهتصريفًا؛فتَّترأسيكثرةالـ تَّفكير،وعجزتعنتصريفهذاالأمر،لكنتفكيريهذاالميثنينِلحظةواحدةعنقرا ريباقتساماإيرادالمحصولبينيوبينشقيقتي،وتركتتصريفهذاالأمرللموليع زَّوجلَّعسيأنأجدعندهمخرجًا،وقمتمنمجلسيوتوضَّأتوصلَّيتركعتينلله ،سألتهبعدهاأنيتولَّيتدبيرهذاالأمرونمتبعدهانومًاعميقًافرأيتفيمنام ي

(أنِّيكنتُفيأرضيوشرعتُفيالعودةلبيتيفضللتُالطَّريق،ووجدتنفسيفيمكانأ جهلهخالٍمنالبشر،فطفتُشرقًاوغربًا،يمينًاوشمالًا،عسيأنأجدأحدًايرشدن يإليطريقبيتي،وفجأةظهرليرجليرتديثوبًاأبيض،فجريتُناحيتهأرجوهوأ توسَّلإليهأنيرشدنيلطريقبيتيفربتالرَّجلعليكتفيوهدَّأمن روعي،وأخبرنيأنَّهابتاعَمنِّيبيتيواشتريليبيتًاغيرهبجواربيته،ونادىغلامًاله وعهدإليهأنيأخذبيديويرشدنيلبيتياالجديد،فمشيتُمعالصَّبيّوهويمسك بيدي،وفيالطَّريقسألتُالصَّبيَّمَنهذاالرَّجل؟وكيفابتاعَبيتيواشتريليبيتًابج وارهبدونإذني؟!فأجابنيالصَّبيّبأنَّهذاالرَّجلهوسيّدالبشر"محمَّدبنعبدالله "ﷺ،

وأنَّهلميتصرَّفبدونإذني،بلأناأذنتُلهعندماقررتأنأكفلأبناءشقيقتيالأيتامو أقتسممعهمنصفإيرادمحصولالأرض...ووصلناإليالبيت،وأشارَليعلي همنالخارج،ماأروعهذاالبيت،لمأرَمثيلهفيالحياة).

استيقظتُمننوميعليهمَّةونشاطلمأعهدهمافينفسيمنقبل – قوَّةفيجسدي – انشراحفيقلبي – هدوءفينفسي – راحةفيعقلي ذهبتإليحقليلنبدأحصادالأرض–

لا...ليسهوهذاحصادكلّعام،الأرضهذاالعامأجادتبأضعافأضعافحصا دالسَّنواتالماضية.

صدقتياسيّديياررسولالله،وصدقَوعدكالحق.

***

obeikandl.com

4

ولو بعد حين

obeikandl.com

obeikandl.com

ولو بعد حين

ذهب بابنه الصَّغير الكفيف إلى دار المكفوفين؛ ليلحقه بها، وليست هذه هي المرَّة الأولى التي يلحقه فيها بدار المكفوفين... فسبق أن ألحقه من قبل بإحدى هذه الدّور، ولكن سوء حالة ابنه النَّفسيَّة والمعنويَّة حالت بينه وبين التَّوافق مع المحيطين به... فدلَّأهل الخير هذا الأب على هذه الدَّار عسى أن يستطيع ابنه على التَّوافق مع مَن بها، فاصطحب ابنه إلى هذه الدَّار، وقصد مقابلة السَّيّدة مديرة الدَّار ودخل مكتبها، وبدأ (بعد التَّحيَّة) يقص لها ظروف فقد ابنه للبصر وهو في هذه السِّن الصَّغيرة، فقد أصابه مرض أفقده البصر وفشلت كلّ محاولات الأطباء فيإعادة البصر إليه.

كان يتحدَّث بقلب الأب الملكوم... يكاد الدَّم أن ينفجر من عروقه من شدَّة الانفعال... يقاوم دموعه التي غلبته وتساقطت على وجهه... يحاول أن يلملم شتات شجاعته ليستطيع أن يكمل حديثه، الذي لم تتجاوب مديرة الدَّار معه ولم ترد بأي كلمة تستفسر بها عن

أي شيء من ظروف الطِّفل الكفيف... ولا حتَّى دعوة للأب بالصَّبر لتخفِّف عنه وطأة مصيبته في ابنه.

ظنَّ الأب أنَّها لا تسمعه، فاسترعى انتباهها وبدأ يقصّ عليها الحديث مرَّة أخرى، ولكنَّها لا تسمعه ولن تسمعه لو قصه عليها مائة مرَّة لأنَّ صوتًا من الماضي يعلو على صوته، صوت ذكرى عمرها عشر سنوات... هذا الأب المكلوم في ابنه هو المعلم الشَّاب نفسه، الوسيم، ابن عائلات السُّلطة والنُّفوذ الذي كان يعلِّم ابنها في المدرسة وضربه بلا ذنب ضربة قاسية على رأسه أفقدته البصر، ونجح بنفوذ عائلته أن يفسد عليه الشَّكاوى وكلّ مراحل التَّقاضي ضدّه... ولم يكتفِ بهذا بل زاد في بطشه وبغائه بأنَّه كان يهدِّدها بأنَّه سيلحق بها أشد الضرر إن عاودت مقاضاته مرَّة أخرى.

نعم... هو هذا الأب هو المعلم نفسه الذي تسبَّب فيإصابة ابنها بالعمى... مازالت ملامحه كما هي وإن كان عاجله الكبر؛ فكسى شعره بالبياض وأصاب ظهره بالانحناء، وحفر في وجهه تجاعيد عمر فوق عمره.

أرادت أن تذكِّره بنفسها، فرفعت النِّقاب عن وجهها عساه أن يتذكَّرها، ولكنَّه لم يتذكَّرها فأصرَّت أن تذكِّره بها.

فبدأت تقصُّ له قصَّة ظلمه وبغائه، ولكنَّه لم يتجاوب معها بكلمة واحدة، ظنَّتْأنَّه لم يسمعها فاسترعت انتباهه، وبدأت تقصُّ عليه القصَّة مرَّة أخرى، ولكنَّه لن يسمعها حتَّى لو قصَّتها عليه مائة مرَّة؛ لأنَّ صوتًا من الماضي يعلو على صوتها، صوت ملأ آذانه وعصرَ قلبه وزلزل كيانه، صوت هذه السَّيّدة وهي تدعو عليه بعدما أفسد عليها إجراءات القضاء (بأن يذق في ابنه ما أذاقها في ابنها).

وها هو يقف أمامها بعد سنوات يعتصر قلبه على ما أذاقه الله من حسرة على ابنه، ظلَّت تستغفر ربَّها في نفسها؛ لأنَّها ظنَّت أنَّه خذلها حين وعد دعوتها بالإجابة ولو بعد حين، حين قال عن دعوة المظلوم (وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين).

فطال عليها المدى ولم تلقَ الرَّد...

أعطى الوعد ولم يذكر حينه وها هو قد أتى حينه.

***

obeikandl.com

5

مولانا الصَّغير

obeikandl.com

obeikandl.com

مولانا الصَّغير

أستنكر عليه دائمًا هذا اللقب العظيم... لقب (مولانا) فدائمًا هذا اللقب في تقديري لا يلقَّب به إلَّا شيخ وقور يتَّسم بالحكمة والهدوء والمسالمة... ولكن أين هذا الصَّبي من كلِّ هذا؟ صبي في الخامسة عشر من عمره يفقده سنّه الوقار والحكمة... وتفقده طبيعته الهدوء والمسالمة، فهو كعادة الصِّبية في سنِّه (في المناطق الشَّعبيَّة) يقضي معظم وقته في الإجازة الصّيفيَّة في لعب كرة القدم، ويتميَّز بين أقرانه بقوَّة الشَّخصيَّة... يهابه الجميع ولا يجرؤأحد على ظلمه أو التَّعدِّي على أيّ حقٍّ من حقوقه... يترأسهم دائمًا، ويفرض عليهم آراءه وهم دائمًا مستسلمون لآرائه حتَّى ابن صاحب العمل الذي يعمل فيه في الفترة الصَّباحيَّة... ويترأسه في العمل في الصَّباح، ينقاد له في وقت اللعب بكلِّ رِضَى واستسلام.

ومع كلّ هذا يصرّ أهل الحي الذي يسكن فيه على تلقيبه بـ(مولانا) لمجرد ارتدائه في وقت الدِّرَاسَة للزِّيّ الأزهريّ... الزِّيّ الأزهريّ الذي يفرض فعلًا على مَن يرى مَن يرتديه أن يمنحه نوعًا من الاحترام... بالإضافة إلى جمال صوته وهو يرتِّل منهجه من القرآن المكلّف بحفظه... يزيد من تشجيعهم على تلقيبه بمولانا... لكن

ضجيجه وصياحه مع رفاقه في لعب كرة القدم وخلافه معهم في تقدير أدوار الفوز والهزيمة تجعلنيأستنكر عليه هذا اللقب، بالإضافة إلى مشاكله مع أهل الحي الذي يلعب فيه الكرة؛ فالجميع يشكون من صراخهم وضجيجهم الذي يفقدهم الشّعور بالرَّاحة ويجافي عنهم النّوم... وتتكرَّر الشَّكوى كلّ يوم إلى ذويهم، ولكن دون جدوى حتَّى كان يوم يلعب فيه الصَّبي كرة القدم مع أصحابه في الشَّارع، فمرَّ رجل بسيَّارته يقودها ومعه زوجته وأبناؤه.

فإذا بالصَّبي ابن صاحب العمل الذي يعمل فيه الشّيخ الصَّغير يقذف زجاج السَّيَّارة بالكرة، فيحطِّمه ويصيب الرَّجل في وجهه عدّة إصابات.

فينزل أبناء المصاب ويمسكونأحد الصِّبية ويتَّهمونه بقذف الزّجاج بالكرة وإصابة أبيهم، ويصرّون على اصطحابه لمركز الشُّرطة.

وفجأة يحاول الشّيخ الصَّبيأن يشقَّ الجموع بشجاعة بالغة؛ ليعترفَ للمصاب وأبنائه بأنَّه ليس هذا مَن قذف الكرة التي حطَّمت الزّجاج وأصابت أبيهم، ويصرّ على الاعتراف بأنَّ الذي فعل هذا هو ابن صاحب العمل الذي يعمل به... ويحاول البعض أن يمنعه عن هذه الشَّهادة لخوفهم أن يطرده صاحب العمل من العمل إذا شهد

على ابنه... والعمل هذا هو الذي يدبِّر منه مصاريف دراسته ويساعد من دخله المحدود إخوته الأيتام.

ولكن شقَّ الصَّبيّ الجموع وهو يتلو بصوت عذبٍ وجهورٍ قوله تعالى:

﴿هَا وَأَمْوَٰلٌ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ءَابَآؤُكُمْ إِن قُلْ
مِّنَ إِلَيْكُم أَحَبَّ تَرْضَوْنَهَآ وَمَسَٰكِنُ كَسَادَهَا تَخْشَوْنَ وَتِجَٰرَةٌ ٱقْتَرَفْتُمُو
يَهْدِى لَا وَٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ٱللَّهُ يَأْتِىَ حَتَّىٰ فَتَرَبَّصُوا۟ سَبِيلِهِۦ فِى وَجِهَادٍ وَرَسُولِهِۦ ٱلله
﴿٢٤﴾ ٱلْفَٰسِقِينَ ٱلْقَوْمَ﴾ (التوبة ٢٤).

أصرَّ على شهادة الحقِّ حتَّى لو كان جزاءها طرده من عمله... لم أناديه منذ هذا اليوم إلَّا بـ(مولانا) مولانا الذي علَّمنا أن شهادة الحق التي يستهين بها الكثيرون هي نوع من الجهاد.

أدامكَ الله فيإعلاء كلمة الحقِّ يا مولانا الصَّغير.

obeikandl.com

6

ضجيج الملائكة

obeikandl.com

obeikandl.com

ضجيج الملائكة

أستيقظ كلَّ يوم على صوته البريء الملائكي وهو يوقظني من نومي لأقدِّم له طعامًا أو شرابًا، أو أقضي له أيًّا من احتياجاته الشَّخصيَّة.

في كثير من الأحيان أثق أنَّه لايحتاج أيَّ شيء، ولكنَّه يتعلَّل بأيِّ سبب ليوقظني به من نومي؛ لأنَّه طالما استيقظَ هو فلابدَّ أن يوقظني ليشعر بوجودي بالأمان وأنا بقلب الأم لاأستطيع أن أتجاهل احتياجاته النَّفسيَّة والإنسانيَّة، فأستيقظ من نومي وأقضي له كلَّ مايريد، وقد نفقد بعدها حاجتنا للنّوم مرَّة أخرى، فنقضي ما تبقَّى من ليلنا في اللهو واللّعب.

صوته الملائكيّ يطرب آذاني، كلماته المتقطِّعة لصغر سنِّه تشرح فؤادي، تعبيراته العفويَّة ترسم على وجهي دائمًا الابتسامة، أوهمه في كثير من الأحيان أنَّني لا أسمع ما أقول ليكرِّره مرَّة أخرى ليزيدني به سعادة.

ولكنَّني استيقظتُ ذات يوم على الصّوت البريء الملائكيّ وهو يئنّ ويتألّم، فأسرعت به أنا وزوجيإلى الطَّبيب الذي أمرنا بسرعة التَّوجُّه إلى المستشفى، وفي المستشفى وبعد مرور الوقت طمأننا الأطبَّاء بزوال الخطر عن حياة ابني، ولكن وجه الطَّبيب يخفي شيئًا لاأعرفه، إحساسي يؤكِّد ليأنَّ زوجي يعلم هذا الشّيء وإن كان يبدو أمامي متماسكًا، بل وجوه الجميع على علم بشيء، أنا الوحيدة الذي أجهله!!! ماذا حدث

لابنيالوحيد؟ سألت مرارًا وتكرارًا ولا أحد يجيبني، بكيت ورجوت وتوسَّلت فأشفق أبي على حالتي وضمَّنييإليه، وأخبرني أنَّ المرض الذي أصاب ابني أفقده القدرة على النُّطق والسَّمع... ابني أنا أصبح أبكمًا وأصمًّا؟ اختفى الصّوت الملائكي الذي كان يملأ حياتي بهجة وسرورًا؟ فقدت للأبد نداءه لي بأعظم كلمة إلى قلب الأم؟ انقضت أوقات لهونا ولعبنا وضجيجنا؟ وبعد أن أذن لنا الأطباء بالانصراف من المستشفى عدتُ به إلى البيت وأنا أحمله، ولكن لاأشعر أنّيأحمل ابني، ولكن أحمل أثقال الدُّنيا كلّها.

وفي البيت شعرت أنَّ الدُّنيا كلّها صمتت من حولي، عندما صمتَابني عن الكلام وأظلمت الدُّنيا في عيني وتغيَّرت طباعي وسلوكياتيإلى أسوأ ما يكون، وأهملتُ بيتي وزوجيإهمالًا شديدًا، وأغلقتُ مشاعري واهتماماتي على ابني فقط، فلا أزور أحدًا ولا أرحِّب بزيارة أحد لي، وخاصَّة مَن عنده أطفال في عمر ابني، فأصبحتُأكره سماع صوت أيّ طفل... لماذا يتكلّم الأطفال وابنيأنا لا يتكلَّم؟ ماذاأذنبَ هذا الملاك الصَّغير ليصابَ بما أصيب به؟! وماذا أذنبتُأنا لتحرمني الأقدار من الصّوت الملائكي الذي كان يملأ حياتي بالبهجة والسّرور؟ زوجيينهاني عن هذا القول ويتّهمني بالكفر لسخطي على الأقداروبدعوني للصّبر الجميل، وأنا أتّهمه (بالباطل) بعدم اهتمامه لما حدث لابنه الوحيد... وأبي وأمّي يحذرانني من عواقب السّخط

على الأقدار وأنا أعاتبهما دائمًا بأنَّهما لا يقدّران مدى مصيبتي في ابني، بل اتّهم كلّ مَن يدعوني للصَّبر بتهاونه بمصيبتي، فأي صبر هذا الذي يكفي لفقدي الصّوت الملائكي الذي كان يملأ حياتي بالبهجة والسّرور.

حتَّى ضاق بي الجميع وأصبح الكلّ يتجنَّب التَّعامل معي، فزوجيأصبح يقضي معظم وقته خارج المنزل ويقتسم الوقت الذي يقضيه في المنزل بين الصَّلاة وقراءة القرآن... وأبي وأمِّي يأسا من استجابتي لدعوات الصَّبر وكفًّا عن نصحي وإرشادي... حتَّى ابني نفسه ضاقَ من حصاري الشَّديد له، فهو يريد أن يذهب إلى بيوت أقاربنا ليلعب مع أنداده من الأطفال، ويريد أن يصطحبه والده معه في زيارة أصدقائه ليلعب مع أبنائهم، كما كان يفعل من قبل ويريد أن يخرج إلى الشّرفة ليلتقي مع أطفال الجيران في الشّرفة المقابلة، وأنا أرفض بشدَّة فلا أطيق أن يتكلَّم الأطفال حوله وهو عاجز عن الكلام مثلهم، وهو يلحّ عليَّ بنظراته وإشارته، وأنا لا أوافق على رغباته وأزيد في الرَّفض...حاولت أن أشغله عن رغباته هذه بإغداق اللعب والهدايا عليه وهو يصرّ على أن أُلَبِّي له رغباته، وكانت نتيجة شدّة رفضي لتحقيق رغباته أن ساءت حالته الصّحيَّة والنَّفسيَّة؛ فنصحني الأطبَّاء بل أمرونيأن أدعه يمارس كلَّ وجوه الحياة بشكل طبيعيّ حتَّى يتمكَّن من التَّعايُش مع إعاقته، وأنا حتَّى أوامر الأطباء أتجاهلها وأرفض أن يوصف ابني بكلمة(معوق)واستمرَّ الحال

على هذا فيما بيننا إلى أن تسلَّل ابني من جواري ذات صباح واتَّجه إلى الشّرفة...أراد أن يتسلَّق سور الشّرفة ليلتقي مع أصدقائه من أبناء الجيران في الشّرفة المقابلة، ولكن لسرعته في تسلُّق سور الشّرفة سقط إلى أسفل الشَّارع.

استيقظتُ على صوت ضجيج وصراخ، فقمتُ من نومي مذعورة أبحث عن ابني في جميع أرجاء البيت فلمأجده، فاتَّجهت بسرعة إلى الشّرفة ونظرتُإلى أسفل في الشَّارع فوجدته ملقى على الأرض، نزلت إلى الشَّارع بلا أدنى وعي واخترقتُ الزّحام في جنون وقبل أن أصل إليه بخطوات أغمضَ الملاك الصَّغير عينيه... أغمض عينيه قبل أن أضمّه إلى صدري وأتحسَّس أنفاسه الأخيرة... أغمض عينيه قبل أن ينظر في وجهي وكأنَّه يريد أن يعاقبني على حصاري الشَّديد له.

ورحل عنِّي الملاك الصَّغير، لم أقوَ على فَقْد صوته الملائكيّ فكيف أقوى على فَقْد حياته.

توجَّهتُإلى ربِّي في صراخي وبكائيأن يلهمني الصَّبر على فقده فردَّ عليَّ زوجي وهو غارق في دموعه(الصَّبر عند الصَّدمة الأولى).

***

obeikandl.com

6

سجن النَّدم

obeikandl.com

سجن النَّدم

اعتزلتالحياةودخلتْسجنالنَّدم،خضعتْلأسواطهوقضبانه،استسلمتلعذابهوآلامه،لتقاومضراوةجلاده.

فظاعةذنبهاتقيِّدلسانهاعنطلبالرَّحمةوالمغفرةلعظمذنبها،

لمتحاولأنتخفِّفعننفسهاوطأةالشُّعوربالذَّنبوهيفيمرحلةالنَّقاهةبعدالجراحةالعاجلةالتيأُجريتلها،فهذهالجراحةهيالتيفجَّرتصوتالضَّميرداخلهاعندماعلمتأنَّالتيتبرَّعتلهابكليتهاهيزوجةأبيها.

السَّيِّدةالتيأذاقتهاهذهالفتاةكلَّأصنافالعذابلاذنبسوىأنَّهاتزوَّجتأبيهابعدوفاةأمِّها،

وهيسيّدةعقيمةلاتنجبأطفالًارحَّبتبوجودهذهالفتاةفيحياتهاعسىأنتتَّخذهاابنةلها،فبثَّتفيهاكلّمشاعرهاواهتمامها،ولكنلمتلقَمنهاسوىالصُّدود.

كانت

تجيبحبَّهالهابالكراهية،وعطاءهابالجحودوالنُّكرانوابتسامتهابالعبوس،

كانتهذهالفتاةتتَّهم

تلكالسَّيّدةعندأبيهابكلّمالاتفعله،وتخفيهذهالسَّيّدةعنزوجهاكلّماتسيءلها

بهذهالفتاة.

كانت

تفسدلها كلّنظامنظّمتهورتّبتهفيالبيت،فتعيدهذهالسّيّدةتنظيمهوترتيبهفي صبرشديد،

وتُبديلهاكلّاستياءمملّتصنعهمنطعاموشراب،وهيتعدهابأنّهاستحسنصنعه.

فشلتمحاولاتالفتاةفيإفسادالعلاقةبينأبيهاوزوجته...

كلّردودأفعالالفتاةالسّيّئةتجاهأفعالزوجةأبيهاالحسنةتزيدمنرصيدالحبّوالاحترامنأبيهالزوجته،وهذامايؤرّقليلهاويكدّرعليهاصفوحياتها،

وتزيدمنكراهيتهالهافدائماصبرهذهالسّيّدةوسماحةنفسهاتقطععليهاكلّالعداوات،

حتّياستعانتعليهابالشّيطانلتدبيرالمكائد،ولكنلميستطعالشّيطان،ليمكثفيبيتبهملاك.

فعندماخضعتهذهالفتاةللجراحة،وتطلبالأمر

نقلكلْيَةلهالمتوانَهذهالسّيّدةفيأنتتبرّعلهابكلْيَتِهَابعدأنأذاقتهاكلّأصنافالعذاب.

وتتلاقيالوجوهبعدلحظاتعندمااشتركافيحجرةواحدةفيالمستشفى؛لتعلنَلهاهذهالسّيّدةبابتسامةراضيةبأنّهاغفرتلهاكلّإساءة،وقدّمتلهاكليتهاء

ساهاأنتتقرَّبإليهاوتقبلأنتكونابنةلها.

رفضتالفتاةهذاالعرضقائلة:لاتنجبالملائكةشياطينًا!!!

8

دمَوْعَ القَمَر

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

دمُوْعُ القَمَرِ

نادر هو هذا النّوع من الحبِّ في الحياة... الحبّ الذي يتجرَّد من الرَّغبة في الاستحواذ والتَّملُّك، ويرقى بصاحبه إلى سماء الإيثار فيمطر على مَن يحبّ سيلًا من العطاء... عطاء لا ينتظر منه مقابلًا... هذا النّوع من الحبِّ هو الذي سيْطَرَ على قلبها... حبّها لزوجها... زوجها الذي لا تتذكَّر أوَّل لقاء به مثلما تقصّ كلّ النِّساء فيأحاديثهنَّ عن ذكريات أوَّل لقاء بأزواجهنَّ؛ لأنَّها فتَّحت عينيها على دنياها بوجوده فيها، فهو قريبها وجارها، عاشت معه كلّ مراحل عمرها، فهو شريكها في الطّفولة، تشاركا كلَّ الألعاب، تبادلا أدوار الفوز والهزيمة، تعرَّضا معًا لعقاب الأهل على الشَّغب والتَّخريب، كان حاميها ومراقبها في مرحلة الصّبا من مضايقات الشَّباب، وخطيبها وزوجها في مرحلة الشَّباب... خطيبها الذيأسكنها فيأرقى مدن الأحاسيس والمشاعر... زوجها الذي حقَّق لها كلَّ حلم تحلم به أنثى وهو الارتباط برجل عظيم...إذن هو ماضيها وحاضرها ومستقبلها... مستقبلها؟لا ليس هو مستقبلها لأنَّها قرَّرت أن

تنسحب من قادم أيّامه لأنَّه حقَّق لها كلَّ ما تحلم به، وعجزت هيأن تحقِّقَ له حلمه الطَّبيعي فيأن يصبح أبًا بعد سنوات طويلة من الزَّواج، كانت تشعر تجاهه بالذَّنب... ذنب ليس لها يد فيه وخاصَّة أنَّ الأطباء يطمئنونها دائمًا بإمكانيّة إنجابها، لكنَّها استبعدت هذا الحلم من حياتها بعد أن طالت بها السّنين... تريد ألَّا تحرمه من نعمة الأبناء؛ فقرَّرت أن تتركه لغيرها عساها أن تحقِّق له هذا الحلم.

ما أصعبها هذه اللحظة في حياة الإنسان، وهي لحظة تقرير المصير... مصيرها مع زوجها... القرارالذي عجزت محاولات زوجها عن إثنائها عنه... هذه المحاولات التي جعلتها تزيد من إصرارها على قرارها، وبدأت تحثّ نفسها على الرِّضا بالقَدَر وتهيِّئ نفسها لقبول زوجة أخرى في حياة زوجها، زوجة ستترك لها بيتها لتعيش فيه مع زوجها وتعود هيإلى بيت أبيها، شعور قاتل ومميت على نفس أيّ امرأة في هذه الحياة أن تنسحب من حياة زوجها وتتركه لغيرها وهي تدعو له بالتَّوفيق لأنَّ حبَّها لزوجها وإيثارها له لم ينفِ طبيعتها الأنثويَّة وشعورها بالغيرة على زوجها... غيرة تجعلها تتمزَّق وهي تلملم متاعها وأشياءها... تستدعى الدُّموع عساها تطفئ من

لهيب حسرتها على نفسها، ولكنَّ الدّموع تستعصي عليها... ترجو من الزَّمن أن يطول بها وهي تلملم متاعها، فهي لم تلملم متفرِّقات يوم وليلة، بل تلملم متفرِّقات عمر طويل فحاصرتها ذكريات كلّ ركن من أركان منزلها، كلّ قطعة من قطع أثاثها... هنا بكت وهنا ضحكت، هنا تخاصما هي وزوجها وهنا تصالحا، هنا استقبلا ضيوفهما وهنا احتفلا بأسعد مناسباتهما... هذا البيت الذي كانت تودِّعه بحنين عند سفرها وتستقبله بلهفة حين عودتها... يستعجلها إخوتها لتنهي ما تقوم به، وهي تتعلَّل بأيّ شيء يؤخِّرها وهي تودِّع ذكريات العمر الطَّويل،لا هي تودِّع المكان ولا تودِّع الذِّكريات لأنَّ الذِّكريات هيأجمل شيء تحمله من هذا المكان... هذه الذِّكريات هي التي تؤنسها في وحدتها وتخفِّف عنها أحزانها.

لم تستطع أن تصمد أكثر من ذلك أمام استعجال إخوتها لها، فبدأت تطلق أقدامها لأولى خطواتها، ولكن خانتها أقدامها وسقطت على الأرض.

أبت إرادةُ الله ألَّا تخرج من بيت زوجها الحبيب الذي عاشت معه سنوات طويلة وتفانت في حبِّها له وآثرته على نفسها (ما جمعه الله لا

يفرقه بشر)فأخبرها الطَّبيب بأنَّها بعد بضعة أشهر ستصبح أمًّا ويتحقَّق حلمها هي وزوجها بالإنجاب بطفلة آية في الجمال، طارا بها من الفرحة... لم يجتهد أحدهما في تهدئتها حين تبكي، فهما يطربان من سماع صوت بكائها يتلذَّذان من رؤية دموعها التي يصفانها (بدموع القمر).

***

obeikandl.com

9

الصّوت الملائكي

obeikandl.com

obeikandl.com

الصّوت الملائكي

أستيقظ كلَّ يوم على صوته البريء الملائكي وهو يوقظني من نومي لأقدِّم له طعامًا أو شرابًا، أو أقضي له أيًّا من احتياجاته الشَّخصيَّة.

في كثير من الأحيان أثق أنَّه لايحتاج أيَّ شيء، ولكنَّه يتعلَّل بأيِّ سبب ليوقظني به من نومي؛ لأنَّه طالما استيقظَ هو فلابدَّ أن يوقظني ليشعر بوجودي بالأمان وأنا بقلب الأم لاأستطيع أن أتجاهل احتياجاته النَّفسيَّة والإنسانيَّة، فأستيقظ من نومي وأقضي له كلَّ مايريد، وقد نفقد بعدها حاجتنا للنّوم مرَّة أخرى، فنقضي ما تبقَّى من ليلنا في اللهو واللّعب.

صوته الملائكيّ يطرب آذاني، كلماته المتقطِّعة لصغر سنِّه تشرح فؤادي، تعبيراته العفويَّة ترسم على وجهي دائمًا الابتسامة، أوهمه في كثير من الأحيان أنَّني لا أسمع ما أقول ليكرِّره مرَّة أخرى ليزيدني به سعادة.

ولكنَّني استيقظتُ ذات يوم على الصّوت البريء الملائكيّ وهو يئنّ ويتألّم، فأسرعت به أنا وزوجيإلى الطَّبيب الذي أمرنا بسرعة التَّوجُّه إلى المستشفى، وفي المستشفى وبعد مرور الوقت طمأننا الأطبَّاء بزوال الخطر عن حياة ابني، ولكن وجه الطَّبيب يخفي شيئًا لاأعرفه، إحساسي يؤكِّد ليأنَّ زوجي يعلم هذا الشّيء وإن كان يبدو أمامي متماسكًا، بل وجوه الجميع على علم بشيء، أنا الوحيدة الذي أجهله!!! ماذا حدث

لابنيالوحيد؟ سألت مرارًا وتكرارًا ولا أحد يجيبني، بكيت ورجوت وتوسَّلت فأشفق أبي على حالتي وضمَّنييإليه، وأخبرني أنَّ المرض الذي أصاب ابني أفقده القدرة على النُّطق والسَّمع... ابني أنا أصبح أبكمًا وأصمًّا؟ اختفى الصّوت الملائكي الذي كان يملأ حياتي بهجة وسرورًا؟ فقدت للأبد نداءه لي بأعظم كلمة إلى قلب الأم؟ انقضت أوقات لهونا ولعبنا وضجيجنا؟ وبعد أن أذن لنا الأطباء بالانصراف من المستشفى عدتُ به إلى البيت وأنا أحمله، ولكن لاأشعر أنّيأحمل ابني، ولكن أحمل أثقال الدُّنيا كلّها.

وفي البيت شعرت أنَّ الدُّنيا كلّها صمتت من حولي، عندما صمتَ ابني عن الكلام وأظلمت الدُّنيا في عيني وتغيَّرت طباعي وسلوكياتيإلى أسوأ ما يكون، وأهملتُ بيتي وزوجيإهمالًا شديدًا، وأغلقتُ مشاعري واهتماماتي على ابني فقط، فلا أزور أحدًا ولا أرحِّب بزيارة أحد لي، وخاصَّة مَن عنده أطفال في عمر ابني، فأصبحتُأكره سماع صوت أيّ طفل... لماذا يتكلّم الأطفال وابنيأنا لا يتكلَّم؟ ماذا أذنبَ هذا الملاك الصَّغير ليصابَ بما أصيب به؟! وماذا أذنبتُأنا لتحرمني الأقدار من الصّوت الملائكي الذي كان يملأ حياتي بالبهجة والسّرور؟ زوجي ينهاني عن هذا القول ويتّهمني بالكفر لسخطي على الأقداروبدعوني للصّبر الجميل، وأنا أتّهمه (بالباطل) بعدم اهتمامه لما حدث لابنه الوحيد... وأبي وأمّي يحذرانني من عواقب

السّخط على الأقدار وأنا أعاتبها دائمًا بأنَّها لا يقدّران مدى مصيبتي في ابني، بل اتّهم كلّ مَن يدعوني للصَّبر بتهاونه بمصيبتي، فأي صبر هذا الذي يكفي لفقدي الصّوت الملائكي الذي كان يملأ حياتي بالبهجة والسّرور.

حتَّى ضاق بي الجميع وأصبح الكلّ يتجنَّب التَّعامل معي، فزوجيأصبح يقضي معظم وقته خارج المنزل ويقتسم الوقت الذي يقضيه في المنزل بين الصَّلاة وقراءة القرآن... وأبي وأمّي يأسا من استجابتي لدعوات الصَّبر وكفًّا عن نصحي وإرشادي... حتَّى ابني نفسه ضاقَ من حصاري الشَّديد له، فهو يريد أن يذهب إلى بيوت أقاربنا ليلعب مع أنداده من الأطفال، ويريد أن يصطحبه والده معه في زيارة أصدقائه ليلعب مع أبنائهم، كما كان يفعل من قبل ويريد أن يخرج إلى الشّرفة ليلتقي مع أطفال الجيران في الشّرفة المقابلة، وأنا أرفض بشدَّة فلا أطيق أن يتكلَّم الأطفال حوله وهو عاجز عن الكلام مثلهم، وهو يلحّ عليَّ بنظراته وإشارته، وأنا لا أوافق على رغباته وأزيد في الرَّفض...حاولت أن أشغله عن رغباته هذه بإغداق اللعب والهدايا عليه وهو يصرّ على أن أُلَبِّي له رغباته، وكانت نتيجة شدّة رفضي لتحقيق رغباته أن ساءت حالته الصّحيَّة والنَّفسيَّة؛ فنصحني الأطبَّاء بل أمرونيأن أدعه يمارس كلَّ وجوه الحياة بشكل طبيعيّ حتَّى يتمكَّن من التَّعايُش مع إعاقته، وأنا حتَّى أوامر

الأطباء أتجاهلها وأرفض أن يوصف ابني بكلمة(معوق)واستمرَّ الحال على هذا فيما بيننا إلى أن تسلَّل ابني من جواري ذات صباح واتَّجه إلى الشّرفة...أراد أن يتسلَّق سور الشّرفة ليلتقي مع أصدقائه من أبناء الجيران في الشّرفة المقابلة، ولكن لسرعته في تسلُّق سور الشّرفة سقط إلى أسفل الشَّارع.

استيقظتُ على صوت ضجيج وصراخ، فقمتُ من نومي مذعورة أبحث عن ابني في جميع أرجاء البيت فلمأجده، فاتَّجهت بسرعة إلى الشّرفة ونظرتُإلى أسفل في الشَّارع فوجدته ملقى على الأرض، نزلت إلى الشَّارع بلا أدنى وعي واخترقتُ الزّحام في جنون وقبل أن أصل إليه بخطوات أغمضَ الملاك الصَّغير عينيه... أغمض عينيه قبل أن أضمّه إلى صدري وأتحسَّس أنفاسه الأخيرة... أغمض عينيه قبل أن ينظر في وجهي وكأنَّه يريد أن يعاقبني على حصاري الشَّديد له.

ورحل عنِّي الملاك الصَّغير، لم أقوَ على فَقْد صوته الملائكيّ فكيف أقوى على فَقْد حياته.

توجَّهتُإلى ربِّي في صراخي وبكائيأن يلهمني الصَّبر على فقده فردَّ عليَّ زوجي وهو غارق في دموعه(الصَّبر عند الصَّدمة الأولى).

***

10

كلّ السَّعادة في قربها

obeikandl.com

obeikandl.com

كلّ السَّعادة في قربها

رائعة هي الحياة في أوقات صفائها، تمنح بلا حدود، منحتني الصِّحَّة والشَّباب والمال والمنصب الرَّفيع والزّوجة الوفيَّة والأبناء، ولكن لماذا أشعر دائمًا أنَّ سعادتي لم تكتمل؟أشعر بأنَّ ربِّي غير راضٍ عنِّي، لماذا هذا الشُّعور وأنا أصلِّي دائمًا الصَّلوات في أوقاتها وأصوم الفرائض والسُّنَن وأتصدَّق في السِّرِّ والعَلَنِ،إذن لم يتبقَّإلَّا فريضة الحجّ، فلمتُ نفسي بشدَّة على تقصيري في أداء هذا الفرض العظيم وأنا أملك الاستطاعة الماديَّة والمعنويَّة، فكان القرارفورًا، وعقدتُ عزمي عليأداء فريضة الحجِّ وتقدَّمت بأوراقي، وحانَ وقت السَّفر، وودَّعت أهلي وركبت الطَّائرة... وفي الطَّائرة فوجئتُ بصديق قديم يجاورني في مقعدي بالطَّائرة، وكان صديقي هذا يصطحب معه والدته وهي سيّدة مريضة ومسنَّة، وبعد أن انتهت بيني وبين صديقي فرحة اللقاء وكلمات التَّرحيب وأحاديث الذِّكريات الطَّويلة همست

في أذن صديقي... لماذا تصطحب والدتك وهي مسنَّة ومريضة، ويشقّ عليها مناسك الحجّ التي تحتاج إلى صحَّة وشباب، فردَّ عليَّ صديقي بابتسامة تملأ وجهه نورًا وضياءً بأنَّها هي التي طلبت منه هذا، وأنَّه لم يتعوَّد على رفض أيّ طلب تطلبه، فاستنكرتُ في نفسي ردَّ صديقي على سؤالي(أيلقيها في التَّهلكة لكي لا يرفض لها طلبًا)، ولكنَّه لم يلقيها في التَّهلكة لأنَّه جاورني في السَّكَن كما جاورني في الطَّائرة ورأيت منه أعظم ما رأيت في البرِّ بالأم، فرأيته وهو يقدِّم لها الطَّعام والشَّراب، ويمشِّط شعرها، ويغسل ملابسها، ورأيته وهو يطيعها طاعة مفرطة، حتَّيإنَّه لا يخرج من باب الحجرةإلَّا بعد إذنها، وسمعتُأحاديثه الودودة التي تشعرها بالأنسِ وتزيل عنها الوحشة والوحدة... كلّ ما رأيت من صديقي هذا ذكَّرني بأمِّي فأين أنا من كلِّ هذا البرِّ وكلِّ هذا العطاء وهذا التَّفاني، وتذكَّرت خلافي وشجاري مع إخوتي في تقسيم أنفسنا لقضاء بعض الوقت معها والمبيت معها ولو لليلة واحدة، مع أنَّأمِّي مازالت تحتفظ بصحَّتها ولا

تحتاج مَن يخدمها ويمرضها مثلما يفعل صديقي مع أمِّه، ولكنَّها تلتمس دائمًا وجودنا معها لتأنس بوجودنا وتسعد باهتمامنا بها، ولكنَّنا في غفلة عن كلِّ احتياجاتها النَّفسيَّة والإنسانيَّة في هذه الرِّحلة من عمرها، وكلّ منَّا يتعلَّل في تقصيره بالسُّؤال عنها بمسئوليَّاته... ونحن نجهل أنَّها هي التي لابدَّأن تكون أولى بمسئولياتنا... لقد عرفت سبب عدم استكمال سعادتي واستحضرت الصّوت الخفيَّ الذي يشعرني بأنَّ ربِّي غير راضٍ عنِّي... نعم ربِّي غير راضٍ عنِّي؛ لأنَّأمِّي غير راضية عنِّي، فقد ربط الله عزَّ وجلَّ رضاه عنِّي برضاكِأنتِ عنِّي حين قال:﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾.(الاسراء ٢٣)

أود أن أملك جناحين وأطير بهما لأعود إلى أمِّي بسرعة البرق أقبّل

رأسها وكفّيها وأطلب منها العفو والمغفرة، وأهب حياتيلخدمتها وطاعتها لأجد كلّ السَّعادة في قربها.

obeikandl.com

11

اللوحة النَّادرة

obeikandl.com

obeikandl.com

اللوحة النَّادرة

من أمامأحد أرقى الشَّواطئ السَّاحليَّة أكتب ذكرياتي، وذكرياتي هذه أكتبها بيدي اليسرى، وليس معنى هذا أنَّنيأعسر، ولكن لأنَّنى مبتور الذِّراع الأيمن...فبدأ شريط الذِّكريات معي عندما كنت أركب القطار متوجِّهًا إلى العاصمة لأداء بعض مهام العمل، فوقع حادث تصادم مروّع بين القطار الذيأركبه وقطار آخر نجمَ عنه الكثير من الخسائر في الأرواح والأبدان، وكانت خسارتيأنا فيه أن فقدتُ معه القدرة على الحركات الإنسانيَّة وعجزت عن أداء الكثير من الأعمال... وضاعَ معه حلمي الكبير الذي طالما تمنَّيت تحقيقه وهو أن أصبح رسَّامًا مشهورًا، فقد كان الرَّسم أوَّل هوايَّاتي وأقربها إلى قلبي، ففيه أقضي معظم وقتي، وبه تنشغل أفكاري وعليه تنصب أحلامي وآمالي، فقد كانت أولى آمالي في الحياة أن أكونَ رسَّامًا مشهورًا

تُعْرَض لوحاتي في المعارض الدَّوليَّة، وتتحدَّث عنها الصُّحف والمجلَّات...

وبعد هذا الحادث الأليم تلاشت أحلامي وآمالي، وانقضت هواية الرَّسم المحبّبة إلى قلبي... ففيه...فشعرتُأنِّي فقدتُ بفقدها الحياة، ودبَّ اليأس فيأعماقي، ولكن مَن أصابني بالبلاء داواني بالصَّبْر والثَّبَات وتيقَّنت أنَّ هذا البلاء العظيم ليختبر به ربِّيإيماني به وحبِّي له فلممت شتاتي واستجمعتُ عزيمتي وقوَّيتُإصراري على أن أجتاز هذا الاختبار العظيم، ورضيتُ بقضاء ربِّي لي وفررتُ منه إليه، فأكثرتُمن العبادات وأكثرتُ الصَّلاة وقراءة القرآن، وبعد مرور الوقت بدأتُأشعر بالضِّيق من بقائي فترات طويلة في المنزل، فقرَّرتُأن أتَّجه للقراءة، فبدأت أتردَّد على مكتبة الحيِّ الذيأقيم فيه لأقضي وقتي في القراءة، وكانت خطوة موفَّقة منِّي،إذ وجدتُ نفسي في القراءة، وتعرَّفتُ في المكتبة على وجوه جديدة من الشَّباب والفتيات، تبادلنا معًا العلاقات الطَّيِّبَة والحوارات البنَّاءَة والمناقشات الهادفة، وكان من

بينهم فتاة جميلة ورقيقة اندمجت معنا في الحوارات والنّقاش، وجذبنيإليها ثقافتها العالية وحواراتها الهادئة الجيّدة، وما زاد من انجذابي لها كلماتها التي تخرج منها متبعثرة من شدَّة الخجل والحياء...واقتحم قلبي ذلك الشُّعور الذي ليس للإنسان سلطان عليه، فحاولتُأن أهرب من هذا الشُّعور، وقرَّرتُأن أمتنع عن الذّهاب إلى المكتبة، ولكن سبقني القَدَر فقد استأذنتني السَّيّدة الفاضلة مديرة المكتبة (وهي صديقة قديمة لوالدتي) في حديث جانبيأخبرتني فيه أنَّها من خلال أحاديثها الشَّخصيَّة مع هذه الفتاة استشعرت منها أنَّها لا تمانع من الارتباط بيإذا رغبت أنا في ذلك، والذي جمع بين قلوبنا وأرواحنا أبيإلَّا أن يجمع بين أبداننا ومصائرنا، وتمَّ كلّ شيء في خطوات سريعة، وتمَّ عقد القِرَان، وأجَّلنا الزِّفاف إلى أجلٍ مسمَّى.

وفيإحدى المرَّات التي ذهبت فيها لزيارة زوجتي في بيت أبيها فوجئت بها تحضر لوحة وريشة ألوان وتطلب منِّيأن أرسم لها صورة، فاستنكرت طلبها هذا بشدَّة وصمت ولم أجبها، فأدركت زوجتي

سبب صمتي، وأمسكت بيدي وصوَّبتها نحو اللوحة وبدأت أرسم خطوط عشوائيَّة، وكلَّما سقطت منِّي الرِّيشة على الأرض انحنت زوجتي الحبيبة على الأرض وأحضرتها لي ووضعتها مرَّة ثانية في يدي...

وبكلماتها الرَّقيقة ولمساتها الحانية تبعث أملًا جديدًا في حياتي وتلهب شرار الصّمود والإصرار.

وفي كلِّ مرَّة أذهب فيها لزيارة زوجتي تعيد معي المحاولة، حتَّى تمكَّنت بعد مرور الوقت من التَّحكُّم فيمسك الرِّيشة ورسم أشكال معلومة، وبعدها قرَّرت أنْألبِّي رغبة زوجتي وأرسم لها صورة ولكن إلهام الفنَّان أوحى ليأن أرسم صورتي وبجوارها صورة زوجتي وهي تضم يدي وأنا أرسم بها على اللوحة... وأبهرت هذه اللوحة الجميع حين انتهيت من رسمها، وأسعدنا هذا الانبهار أنا وزوجتي سعادة كبيرة...وزاد من إصرار زوجتي على أن تدفعنيإلى الاستمرار في ممارسة هواية الرَّسم، وبدأت تعد معي لرسم لوحة جديدة، وفي هذه

الأثناء فوجئت بأحد البرامج التّليفزيونيّة الشّهيرة يتّصل بي ويحدِّد معيموعدًا لإجراء حوار تليفزيوني باعتباريأحد المتضرِّرين من حادث القطار واستلام التّعويض المحدَّد لي الذي حدَّدته لي الدَّولة.وأتى اليوم المتَّفق عليه وجاءت أسرة البرنامج ودار بيني وبين المذيع حوار طويل عن الحادث وعن الأضرار التي عادت عليَّ من جرَّائه، وكيف تمكَّنت من تحدِّي الصّعوبات والعقبات والتَّواصل مع الحياة بعد فقد ذراعي، وكيف تمكَّنت بإرادة الله بفضل زوجتي من العودة إلى ممارسة هواية الرَّسم، وعرضت عليه اللوحة التي رسمتها بعد الحادث بيدي اليسرى، وركَّزت كاميرات البرنامج تركيزًا شديدًا، وفيأثناء إذاعة البرنامج اتَّصل بالبرنامج أحد الرَّسَّامين المشهورين وطلب محادثتي وأسعدني بموافقته على عرض لوحتي فيأحد المعارض الشَّهيرة وتمَّ بالفعل عرض لوحتي في هذا المعرض الكبير، ونالت إعجاب النّقاد الذين وصفوها بـ(اللوحة النَّادرة)، وتناولتها أقلام الصحفيين في مقالاتهم وصوَّرتها كاميرات الفضائيَّات، ونلتُ بها جائزة أفضل

لوحة على مستوى الجمهوريَّة، وأهديت نجاحيإلى زوجتي الحبيبة التيأعادت داخلي صنع الفنَّان... واجتهدت فيإقناعي بإمكانيَّة العودة إلى ممارسة هواية الرَّسم...وتفانت في خدمتي ومساعدتي بكلِّ ما تملك.

وتحقّق الحلم الذي ظننت بعد الحادث أنَّه قبر مع الأموات وأصبحت رسَّامًا مشهورًا.

وأقمت حفل زفافي فيأكبر فنادق العاصمة، وحضره كبار الرَّسَّامين والمثقَّفون والمبدعون، وسافرنا بعده أنا وزوجتي لأجمل المدن السَّاحليَّة، وقبل أن أنهي كتابة ذكرياتيأدوّن أن كلّ هذه النّعم وكلّ هذا العطاء هو استجابة ربِّي لدعائي حين دعوته بعد فقد ذراعي (اللهمَّأجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها).

***

12

كان معي

obeikandl.com

obeikandl.com

كان معي

فتحتُ باب شرفتي فرأيته، فعلًا رأيته، لم أكن أتوقَّع أن أراه، ولم أخرج خصيصًا للقائه وإنَّما خرجت لشرفتي بقصد أن أتوحَّد مع نفسي في سكون الليل أشكو مع نفسي لنفسي من ألم حلَّ بي ضقتُ منه، وفقدت معه قدرتي التي كنتُأواجه بها آلامي من قبل، وكاد زمام صبريأن ينفلت منِّي؛ لذلك لجأت لسكون الليل عساه أن يسمع أنيني المكبوت.

وأنا وحيدة معه ولكنِّي لم أتوحَّد مع نفسي لأنِّى رأيته في عظيم صنعه في سماء جذبني ضياؤها الذي شابه ضوء النَّهار، رأيته في قمر تلألأت أنواره مع أنَّه لم يكتمل بعد، رأيته في نجوم زادت أحجامها وكأنَّها تقترب منِّي لتخبرني بأنَّه معي، كلّ شيء في الكون حولي يشعرنيأنّه معي... عطر النَّسيم... حفيف الشَّجر... ضجيج الصَّمت... كلّ هذه الأشياء تشعرني بوجوده معي.

كم رجوته في كلّألم حلَّ بي من قبل أن يريني ما يشعرني بوجوده معي وأنَّه مطَّلِع على آلامي وسوف يجازيني عليها أحسن الجزاء، وها هو في هذا الألم يشعرني بوجوده معي وأنَّه يراني ويسمعني ويشعر بعمق ألمي.

إذن هو الذي دفعني للخروج للشّرفة في هذا الوقت؛ لأنَّ قدر اللقاء أن يكون في هذا المكان وفي هذه اللحظة.

لحظة؟ نعم... هي لحظة مشهودة في حياتي، لحظة لم أنعم في حياتي بمثلها من قبل، فقد غمر أعماقي شعور بالهدوء والسّكينة لم أهنأ بمذاقهما من قبل... مذاق غير كلّ شيء داخلي، تغيَّرت نبضات قلبي... تغيَّر الدَّم الذي يسري في عروقي... تغيَّرت كلّ جوارحي... تغيَّرت أنا، فلم أعد أنا.

وفجأة علا صوت داخلي يحثّني على الدُّعاء، ويخبرني بأنَّ كلَّ ما أراه هو دلائل انفراج أبواب السَّماء، وأنَّ هذا الوقت هو وقت إجابة الدُّعاء.

ولكن بماذا أدعوه وقد سلبت منِّي روعة هذا المشهد العظيم إدراكي، وأخشى أن يشغل لساني عيني عن عظمة هذا المشهد.

ولكن فجأة انطلق لساني بدون سلطان منِّي عليه يدعوه بالرَّحمة والمغفرة.

المغفرة على كلِّ لحظة استصغرتُ فيها عطاءه لي.

المغفرة على كلِّ لحظة استعظمتُ فيها واستكثرتُ فيها بلاءه.

المغفرة على كلِّ لحظة أعنتُ فيها الشَّيطان أن يفسد ما بيني وبينه من تواصل.

المغفرة على كلِّ لحظة نسيته فيها، انشغلت عنه فيها، لجأت لغيره فيها، شكوت لغيره فيها.

المغفرة على كلِّ ذنب جنيته في حياتي.

والذي دفعني للخروج إلى شرفتي هو الذي دفعني للرّجوع إلى غرفتي، وعدتُإلى نفسي وعاد ليإدراكي، شعرتُ بالنَّدم والحسرة على ما فاتني في هذه اللحظة النَّادرة أن أدعوه أن يزيل ألمي الذيأرَّق ليلي وأشقى نهاري.

ولكن عندما تذكَّرت الألم وجدتُ نفسي لا أشعر به، فتحسَّستُ جميع أجزاء جسدي فلم أجد للألم أيأثر به، فقد برأ الألم لحظة أن لقيته وزالت كلّآثاره من جسدي.

رغم أنِّي نسيتُأن أدعوه أن يزيل هذا الألم، فزاد يقيني بأنَّه فعلًا كان معي... كان معي.

opeikandl.com